مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (6) العدد (7) 2022
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (6) No. (7) 2022

تجلّيـــات "الأنـــا" في شـــعر المُجـــون في العصر العبّـاســيّ الأوّل

أ.د. حكمت عيسى*

د. طلال حسن**

محسن محمّد حيدر***

(تاريخ الإيداع 9/11 /2022. قُبِل للنشر في 11/13 /2022)

□ **ملخّص** □

يتناول البحث مجموعة من النصوص الشّعريّة للشّعراء المجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل، فيقف على تنوّع الحقول الدّلاليّة لمصطلح المُجون لديهم بمستوياتها المتعدّدة الفكريّة والنفسيّة والاجتماعيّة، وذلك في ضوء دراسة "الأنا" في أشعارهم، ودراسة تجلّياتها، وآفاقها، وذلك بغية الوصول إلى نتائجَ وأفكارٍ وقيمٍ جديدةٍ تؤكّد إنسانيّة الشّعراء المجّان التي تعطيهم قيمتهم، وتؤكّد نزعتهم الوجوديّة القائمة على الحريّة وتقديس الذّات.

الكلمات المفتاحيّة : المُجون ، الأنا، العصر العبّاسيّ الأوّل.

* أستاذ في قسم اللغة العربيّة، اختصاص الأدب العبّاسي ، جامعة تشرين، اللاذقيّة، سورية .
** مدرّس في قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين، اللاذقيّة، سورية .
*** طالب دكتوراه لغة عربيّة ، جامعة تشرين .

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (6) العدد (7) 2022
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (6) No. (7) 2022

Ego manifestations in the promiscuity poetry at the first Abbassy age

Prof. Hekmat Issa *
Dr. Talal Hassan **
Mohsen Haydar ***

(Received 11/9 /2022. Accepted 13/11/2022)

□ **ABSTRACT**□

The research addresses a series of poetry texts of promiscuity poets in the first Abbassy age, and based on the diversity of their promiscuity connotation at all levels of intellectual, psychological and social, and This is through of the studying the ego term in their poetry, and the study of its manifestations and prospects, in order to reach results, ideas and new values that confirm the humanity of the poets, which gives human beings their worth, and their existential tendency based on freedom and self- reverence.

Keywords: Ego , promiscuity, the first Abbassy age

* Professore, Department of Arabic, Factualy of Arts and Humanities, University OF Tishreen, Lattakia,Syria.
** Assistant Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Lattakia,Syria.
*** Ph.D.student in Arabic, University OF Tishreen, Lattakia,Syria.

مقدّمة:

يُعدّ المُجون ظاهرة إشكاليّة في الأدب العربيّ لِما كان يتمتّع به شعراؤه من ثقافةٍ عميقةٍ، ولما حملته أشعارهم من دلالاتٍ وأفكارٍ لم تكن مألوفة، حيث اتّسمت بغناها بقيم الحريّة، وتقديس الذّات، والتمرّد الاجتماعي والفنّيّ والدّينيّ، و النّزعة الوجدانيّة والإنسانيّة، وسيقوم البحث برصد تجليّات "الأنا" ودراستها في أشعارهم وإبراز دلالاتها وعلاقاتها بما حولها.

أهميّة البحث:

تأتي أهميّة البحث من كونه يتناول بالدّراسة أشعار المجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل، و يبحث في تجليّات "الأنا" فيها، وآفاقها ودلالاتها، ساعياً عبرها إلى الكشف عن إنسانيّتهم وإبراز قيم العالم الجديد التي تبنّوها ودعوا إليها، واكتشاف العلاقة بين "الأنا" والآخر، بهدف استجلاء ما خفي من معانيها ورموزها وإشاراتها، ولا سيّما الرموز المرتبطة بالخمر، وأيضاً من كونها تقود إلى فهم علاقة الإنسان بنفسه وبيئته ومجتمعه، وتسعى لاكتشاف خفاياه ودوافعه.

وتأتي أهميّته أيضاً من كونه يولي مزيداً من الاهتمام للنّاحية الفكريّة في شعر المجون ، وذلك عبر الربط بين شعر المُجون في العصر العبّاسيّ الأوّل من جهة، ومصطلحات الفلسفة وعلم النفس من جهة ثانية، ثمّ دراسة تجليّات الأنا في أشعار المجّان في ذلك العصر، مع الإشارة إلى أنّ هذا الجانب لم يلقَ الاهتمام الكافي في دراسات السّابقين، فقد كانت الدّراسات في معظمها تهتمّ بالجوانب الأسلوبيّة والبلاغيّة عند شعراء المجون في القرن الثاني الهجريّ، ومنها "الصّورة الشعريّة ونماذجها في إبداع أبي نواس" لساسين عسّاف، أمّا المكوّن الفكريّ والفلسفيّ لها فيُلحظ قلّة الدّراسات التي عُنيت بها، ومن هذه الدراسات "أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرّد" للدكتورة أحلام الزّعيم، و "المتهتّك الفاضل أبو نواس" للدكتور سليمان حريتاني ، و ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وأمّا هدف البحث فهو الكشف عن تجليّات "الأنا" في أشعار المجّان في القرن الثاني الهجريّ ، و دراسة علاقتها بالآخر، وإبراز قيمتها الفنيّة والفكريّة .

منهجيّة البحث :

إنّ دراسة تجلّيات "الأنا" في أشعار المجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل ستقوم على استقراء النصوص الشّعريّة ، وإبراز تجلّيات "الأنا" في أشعارهم ، ودلالاتها المختلفة، ومواقفها الفكريّة والنفسيّة المتنوّعة، وإبراز قيمتها الفنيّة، وقد وجدتْ في المنهج الوصفيّ التحليليّ خير معينٍ ، لأنّه سيفيدها في التفسير والتحليل والتقييم، وفي قراءة النصوص وتحليلها بقدر استجابتها له ، والبحث لن يغفل الإفادة من المناهج النقديّة الأخرى التي تُعنى بالمكوّن الفكريّ للشعر ، إذ إنّ من المتفق عليه أنّ النصّ الشعريّ لا يسير في نظامه اللغويّ أو الجماليّ في اتجاه واحد ، وإنّما تتداخل فيه عناصر شتّى، ممّا يفرض على الباحث الإفادة من تلك المناهج في الدراسة التطبيقيّة.

العرض والمناقشة :

"الأنا" في العربيّة ضمير منفصل يدلّ على الذات المتكلّمة، وله ارتباطٌ باللّغة والفلسفة وعلم النّفس

.

"الأنا" لغةً : ضمير مفرد يخصّ المتكلّم، وذكر ابن منظور أنّه لا تثنية له إلّا بنحن، ويصلح نحن بالتثنية والجمع... وقال الجوهريّ: هو اسم مكني وهو المتكلّم وحده[1]، وهو ضمير متكلّم قائم بذاته ولذاته، ولا ينازعه أو يشاركه في ذاتيّته وصفته آخر، فهو مستقلّ عن غيره وإن كان منتجاً له، وناتجاً عن علاقته به[2].

"الأنا" في الفلسفة: ترمز "الأنا" عند الفلاسفة العرب إلى النفس المدركة، حيث قال ابن سينا: ما يشير إليه كلّ أحدٍ بقوله: "أنا"، كما قال الرّازي : إنّ النفس لا معنى لها إلّا المشار إليه بقولي : أنا[3]، وقد تداخل مصطلح "الأنا" عند الفلاسفة المسلمين بين النفس والعقل، ولعلّها أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل[4].

وشُغل صوفيّة الإسلام أيضاً بفكرة "الأنا" في حديثهم عن الغيبة والشّهود والفناء والوجود[5]، كقول الحلّاج[6]:

أنا مَنْ أهوى ومَنْ أهوى أنا نحنُ روحان حَلَلْنا بَدَنا

وفي الفلسفة الحديثة: تدلّ كلمة "أنا" على ما يهتمّ به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه نحو أنا فعلتُ وأنا أبصرتُ، وعند الفلاسفة الوجوديّين تشير "الأنا" إلى جوهر حقيقيّ ثابت يحمل الأغراض نفسها التي تألف منها الشعور الواقعيّ المفارق للإحساسات والعواطف والأفكار[7].

"الأنا" في علم النّفس: تعبّر "الأنا" في التحليل النفسيّ عن الجانب الشّعوريّ للنفس، ويتميّز بأنّه أكثر الجوانب اتّصالاً بالحقيقة الخارجيّة[8].

وترتبط "الأنا" بالشّخصيّة الإنسانيّة، فكلّ إنسان تنقسم شخصيّته بحسب –فرويد– إلى ثلاثة فروع رئيسة ، هي: الهو، و "الأنا"، و "الأنا" العليا، **فالهو:** يمثّل الجانب اللّاشعوريّ في الشّخصيّة، وهو كتلة الميول والرغبات والدّوافع التي تولد مع الإنسان، وهي دوافع غير منضبطة، وتوصف بالبدائيّة، ووظيفة هذا الجانب إشباع الرّغبات بشتّى الوسائل ولو بالخيال والحلم، أمّا "الأنا" فيمثّل الجانب الواعي من الشّخصيّة الإنسانيّة، وهي تمثّل حلقة الوصل بين ذات الفرد والعالم الخارجيّ[9].

ويذهب فرويد إلى أنّ "الأنا" تُشرف على الحركة الإراديّة، وتقوم بحفظ الذات، وكبح الرغبات الغريزيّة التي تنبعث من الهو، فالأنا تمثّل الحكمة وسلامة العقل، وهي أكثر تمدّناً من الهو، و "الأنا" الأعلى تمثّل الجزء الضابط للسلوك في الشخصيّة الإنسانيّة، ويركّز على القيم والمبادئ الأخلاقيّة [10].

---

[1] ابن منظور، *لسان العرب* ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، مادّة (أنا) .

[2] سليماني، أحمد ياسين، *التجليات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر*، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2009، ص 404 .

[3] ينظر: صليبا، جميل، *المعجم الفلسفي*، دار الكاتب اللبناني، بيروت، 1978، ج2، ص140،139.

[4] ينظر: الحداد، عباس يوسف، *الأنا في الشعر الصوفي*، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الثانية، 2009، ص187 .

[5] وهبة ، مجدي . والمهندس، كامل ، *معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب*، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص62.

[6] عباس، قاسم محمد ، *الحلّاج*، الأعمال الكاملة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص330.

[7] ينظر: المعجم الفلسفي، ص140– 141.

[8] *معجم علم النفس والتربية*، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، 1984 ، الجزء الأول ، ص49 .

[9] ينظر: فرويد، سيجموند، *الأنا والهو*، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة،1984 ، ص16– 17.

[10] المصدر السابق، ص17 .

و لا تكاد قصيدة من قصائد الشعراء المجّان تخلو من ذكر "الأنا"؛ ليشكّل حضورها البارز ظاهرةً تسترعي الاهتمام والدّراسة، إذ برز عددٌ من الشعراء ممّن جعلوا قصائدهم أشبه بالاعترافات الشّخصيّة العاكسة للحياة المريرة التي اكتووا بنيرانها، وعبّرتْ عن معاناتهم وآلامهم وأحزانهم ومواقفهم الحياتيّة المتعدّدة، و"كانت– قصائدهم– بمثابة فضاء شعريّ يُعاد فيه إنتاج أنا الشاعر؛ أي سيرته الذّاتيّة من خلال أنا المتكلّم"[1].

ويكاد لا يُذكر الشعر العبّاسيّ بشكلٍ عامّ، وأشعار أبي نواس والشعراء المجّان بشكلٍ خاصّ، إلّا وتذكر قضيّة القديم والمحدث، أو التقليد والتجديد، مع الإشارة إلى أنّ أبا نواس كان إمام المحدثين، وإن رآه طه حسين زعيمَ القدماء والمحدثين في الخمر والغزل والمُجون[2].

وكان أبو نواس ورفقاؤه من الشّعراء المجّان ممّن قد اكتشفوا ذواتهم، وسعوا إلى إثباتها، وتأكيد حريّتهم، وحقّهم في اختيار ما يريدون، فشكّلوا عالمهم الخاصّ، وأسّسوا عاداتهم وتقاليدهم التي تنسجم مع المجتمع المدنيّ المتحضّر الذي بلغه العصر العبّاسيّ الأوّل من حضارة ومدنيّة وازدهار.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ معظم العلاقات الإنسانيّة والنظم الحياتيّة في المجتمع العربي في العصر العبّاسيّ كانت تقوم على محورٍ أساس هو العصبيّة، العصبيّة القبليّة، والعصبيّة المذهبيّة، والعصبيّة الفنيّة... ويجب أن يتمحور الأفراد حولها، فتراهم يعملون من أجلها، ويمجّدونها، وينطقون بلسانها، ويفخرون بها وبمآثرها، وصار ذلك أشبه بقانونٍ أو مذهبٍ يجب على الشعراء ألّا يخرجوا عليه، وكلّ ذلك في غيابٍ لذواتهم، واتجاهاتهم الشخصيّة، ونزعاتهم الفرديّة، إلّا أنّ هناك حالات متعدّدة برزت في ذلك العصر قد خرجت عن هذا التقييد، ولو بشكلٍ جزئيّ، ومن أبرزهم الشّعراء المجّان.

وكان في العصر العبّاسيّ الأوّل اتّجاهان؛ الأوّل يميل إلى القديم وتقديسه بكلّ ما فيه، و الآخر هو تيّار المجدّدين الذين ثاروا على التقاليد الفنيّة القديمة وعلى عمود الشعر، وعبّروا عن قضاياهم الشّخصيّة وهمومهم الفرديّة، و مجّدوا الحريّة واللذّة، وتغنّوا بالحدائق والبساتين، ورفضوا الصحراء وعاداتها وقيمها، ودعوا إلى عالمهم الجديد المتحضّر وقيمه، و هذا الاتّجاه يمثّله الشّعراء المجّان الذين كانوا أكثر وعياً لذواتهم، و أكثر وعياً للوجود الإنسانيّ، فاتّسم شعرهم في كثيرٍ من الأحيان بالواقعيّة، وتصوير الحياة المعيشة، والتعبير عن المشاعر الإنسانيّة، وحتى المكبوتة منها .

ويمكن القول: إنّ الدّارس لشعر المُجون في العصر العبّاسيّ الأوّل يلحظ التجلّيات المتعدّدة للأنا في أشعارهم، فتجد استقلاليّة "الأنا" عبر أنا الفخر، و انكسارها عبر "الأنا" العاشقة و "الأنا" المتألّمة المنكسرة، وتجد أيضاً الندم و التحسّر في أنا التفكّر والحكمة، وغير ذلك من التجليّات...

أنا الفخر (الأنا المعتزّة)[*]:

إنّ الدارسَ شعرَ المُجون يدرك حجم المعاناة التي كان يعانيها المجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل وإن تعامل معهم بعض الخلفاء بشيءٍ من اللّيونة، فكان تأكيد الذات يحتاج إلى المواجهة مع سلطة المجتمع حيناً، والترفّع عنها وعن نظرة الناس وتخطّيها حيناً أخرى، فالشاعر يصبو إلى تحقيق ذاته وتوكيد "الأنا"، فيقتحم باب الفخر؛ لولوعه بحبّ الظهور من جهة والاستخفاف بالناس من جهة ثانية، ومن ذلك ردُّ أبي نواس

[1] إسماعيل، عزّ الدين ، *كلّ الطرق تؤدّي إلى الشعر*، الدار العربيّة للموسوعات، لبنان، الطبعة الأولى، 2006 ، ص69 .

[2] ينظر: حسين، طه ، *حديث الأربعاء*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 1925، ص 396 .

* تجدر الإشارة إلى ندرة أبيات الفخر في أشعار المجّان، ولعلّ ذلك يعود لانشغالهم باللّهو والعبث والخمر ومجالسها.

على إبراهيم النظّام مستهيناً به وبمكانته، ومصرّاً على موقفه من الخمر، ومبيّناً جهل النظّام في كثيرٍ من الأمور، إذ يقول[1]:

دارتْ على فتيةٍ دانَ الزّمانُ لهمْ لا يصيبهمْ إلّا بما شاؤوا

حاشى لِدرّةَ أن تُبنى الخيامُ لها و أنْ تروحَ عليها الإبلُ والشّاءُ

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أبيات الفخر في أشعار المُجّان قليلة ونادرة إذا ما قيست بالأغراض الشّعريّة الأخرى؛ ولعلّ ذلك يعود لانشغالهم باللّهو والعبث والخمر ومجالسها، ومن ذلك قول أبي الشّبل البرجمي– صديق أبي نواس في حانات الكوفة– عندما صوّر انشغاله باللّذّة وسعيه إليها في أيّ مكان، وافتخاره بذلك، إذ يقول[2]:

شَهدتُ مَواطنَ اللذّاتِ طُرّاً وجبتُ بقاعَها بَرّاً وبحرا

و قام بعضهم بمدح نفسه مفتخراً بشعريّته، وروايته الكثيرة للأشعار، ومعرفته لأخبار العرب، وذاكراً صفاته من الظّرافة والدّعابة، كقول أبان بن عبد الحميد اللّاحقيّ مقدّماً نفسه لأحد الأمراء[3]:

أَنا مِن بُغيَةِ الأَميرِ وَكَنزٌ مِن كُنوزِ الأَميرِ ذو أَرباحِ

كاتِبٌ حاسِبٌ خَطيبٌ بَليغٌ ناصِحٌ زائِدٌ عَلى النُصّاحِ

وَظَريفُ الحَديثِ مِن كُلِّ لَونٍ وَبَصيرٌ بِحالِياتِ مِلاحِ

كُلُّ هذا جَمَعتُ وَالحَمدُ لِلَّ هِ عَلى أَنَّني ظَريفُ المُزاحِ

وكان الفخر لديهم للنيل من طبقة اجتماعيّة تستخفّ بالناس وتسعى لاستعبادهم بصرف النظر عن منزلتهم ومكانتهم، وهذا ما يُلمح في أبيات أبي نواس في الإخوان[4]:

ومستعبدٍ إخوانهُ بثرائهِ لبستُ لهُ كبراً أبرّ على الكبرِ

لقد زادني تيهاً على النّاس أنّني أراني أغناهم و إن كنتُ ذا فقرِ

والفخر لدى الشّعراء المجّان لم يكن تقليديّاً، فهم لا يفخرون بالكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف... كما كان الشّعراء يفخرون قديماً، وإنّما يفخرون بانتهاكهم القيم، و بانغماسهم في دروب اللذّة والعبث، وبالتحدّي لقيم الدّين والمجتمع، سعياً لإثبات الذات في مواجهة الآخر، كقول أبي نواس[5]:

---

[1] أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكاتب العربي، بيروت ، لبنان، ص6 .

ويكمل أبو نواس ردّه على النظّام بقوله:

فقل لمـن يدّعي في العلم فلسـفةً حفظتَ شـيئاً وغابت عنك أشـياءُ

لا تحظر العفو إن كنت امرأً حرجـاً فـإنّ حظركَـه في الدّيـن إزراءُ

[2] الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1966، ص39.

[3] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، *الأغاني*، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ ،ج20، ص75.

[4] ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، ص 137 .

[5] المصدر السابق، ص44 .

ويقترن الفخر عندهم أحياناً بالمجون والعبث والاستغناء عن النّاس وأفكارهم، كقول مطيع بن إياس:

ألا فاسْقني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ ولا تسقني سرّاً إذا أمكنَ الجهْرُ
فما الغبنُ إلّا أن تراني صاحياً وما الغنمُ إلّا أنْ يُتعتعني السّكرُ
فبتنا يرانا اللهُ شرّ عصابةٍ نجرّرُ أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ

ويفخرون أيضاً بالسّبق في شتّى المجالات ولو كانت غير مقبولة على صعيد المجتمع والدّين، وها هو أبو نواس يفتخر بسبقه الشّعراء وذيوع صيته على الرّغم من حداثته وصغر سنّه، وهنا تتقاطع "أنا" الفخر مع "الأنا" العاشقة، إذ يقول[1]:

الحمدُ للهِ أنّي على حداثة سنّي
فُقْتُ المُحبّيْن طرّاً ببعضِ ما شاعَ منّي

الأنا العاشقة المُحبّة[*]:

لقد تنوّع غزل الشّعراء المجّان وعشقهم، فمن تغزّلٍ بالنساء إلى تغزّلٍ بالغلمان ، وكان في كثيرٍ منه خالياً من العواطف الصادقة، إلّا أنّ لهم قصصاً اشتهرت، وذاع صيتها بين الناس، حيث عبّروا فيها عن مشاعر الحبّ الصّادقة ، والعاطفة الجيّاشة، وصوّروا آلام الحبّ وسعيهم الدؤوب لاسترضاء المحبوبة التي تتجاهل عاشقها المتيّم، فتبدو "الأنا" العاشقة منكسرة ومتألّمة، كقول أبي نواس[2]:

حامِلُ الهوى تَعِبُ يستخفّه الطّرَبُ
إن بكى يحقّ لهُ ليس ما بهِ لعبُ
تضحكينَ لاهيةً والمُحِبُّ ينتحبُ
تعجبين من سقمي صحّتي هي العَجَبُ

نعم لدينا نبيـذٌ وعندنا حمّـــادُ
وخيرنـــا كثيرٌ والخيرُ مســتزادُ
وكلّنا من طربٍ يطيرُ أو يكــادُ
ولهونـــا لذيذٌ لم يلهه العبــادُ

ينظر: غرونباوم، غوستاف فون، *شعراء عبّاسيون*، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1959 ، ص44.

[1] ديوان أبي نواس، ص31 .

* لا بدّ من الإشارة إلى أنّ البحث لم يقع على قصائد غزليّة عند كثيرٍ من شعراء المجون توازي شهرتهم بالخمر والمجون ، فلعلّها سقطتْ عبر الزمن، أو أنّها كانت جزءاً من وموقفهم العام القائم على الإباحيّة و العبث والمجون، لذلك استند البحث إلى قصائد أبي نواس لوفرة قصائده في هذا المجال، إضافةً إلى أنّ كثيراً من قصائد الحبّ لديهم تبدو بعيدة عن تيّار المجون، و تتقاطع مع الغزل العفيف.

[2] المصدر السابق، ص184 .

ويصوّر الشّعراء حالات الضّياع التي يعانونها جرّاء عشقهم، و اكتوائهم بنار الحبّ، و كيف انتشرت أسرارهم بين الناس، ولا أحد ينصفهم، فيلجؤون إلى الله ليسمع شكواهم، وهنا يخرجون عن حدّ المجون ويقتربون من الغزل العفيف، وهذا ما يُلمح عند أبي نواس، إذ يقول[1]:

أضرمتِ نار الحبّ في قلبي ثمّ تبرّأتِ من الذنبِ
حتّى إذا لججتِ بحر الهوى وطمّتِ الأمواجُ في قلبي
أفشيت سرّي وتناسيتني ما هكذا الإنصاف يا حبّي
هبني لا أسطيع دفع الهوى عنّي، أما تخشى من الرّبِّ؟

وكذلك أيضاً والبة بن الحباب يصوّر وجده وهيامه، وتعلّقه بمن يحبّ، فيفيض شعره بالعواطف والمشاعر الصّادقة، والتي تتميّز بالصّور الموحية والمعبّرة، والتي تجسّد "الأنا" العاشقة المتألّمة، وهو على الرّغم من كونه يتربّع على رأس تيّار المجون، إلّا أنهّ بعاطفته الصّادقة يقترب من الغزل العفيف مبتعداً عن الفحش والمجون الذي عُرف به، إذ يقول[2]:

فيها اِفتَضَحتُ وَحُبُّها في الناسِ يَسعى بِافتِضاحي
ولها ولا ذنب لها حبّ كأطراف الرّماحِ
جرحتْ فؤادك بالهوى فالقلبُ مجروحُ النواحي

وكان مطيع بن إياس من الشّعراء الذين قلّما يعبّرون عن معاناتهم وآلامهم في الحبّ، أو شغفه بمن يهوى، وكأنّه يكتم مشاعره ويخبّئها، وكان المُجون سبيله إلى نسيان همومه ومعاناته وكلّ ما يشغل باله، فأشار إلى شدّة ألمه وعذابه بالحبّ، وأكّد أنّ فساده هو السّبيل لعلاج انكساره وآلام قلبه، كقوله الذي يخاطب فيه من يلومه[3]:

أنتَ خِلوٌ من الذي بي وما يعْ لمُ ما بي إلّا قريحُ الفؤادِ

ولعلّه يشترك مع أبي نواس في رمزيّة الغزل/المعشوقة في كونها الخلاص والفرح والحريّة المفقودة، وفراقها والبعد عنها يمثّل ذروة الألم والمعاناة وانكسار "الأنا"، وهو ما ينغّص حياتهم ويزيد معاناتهم وضياعهم .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ للطّبيعة أثرها البالغ في شعر المجون؛ لأنّها ملهمة الشّعراء الذين يستوحون منها عناصر تجربتهم الإبداعيّة، وكثيراً ما يناجي الشّاعر عناصر الطّبيعة، و يبثّها شكواه وأحزانه، فتجد في قصيدته تراسل الحواس، والتشخيص، والتجسيم، والعواطف الصّادقة المعبرّة عن شجونهم وآلامهم، كقول مطيع بن إياس مخاطباً نخلتَيْ حلوان الذي تبرز فيه "الأنا" المتألّمة والحالمة بالفرح والخلاص، والتي

---

[1] المصدر السابق، ص246 .

[2] يارد ، نازك سابا ، *في فلك أبي نواس*، نوفل للطباعة والنشر، بيروت، 1992 ، ص23 .
وينظر: الأغاني، ج16، ص148 .

3 المصدر السابق ، ص45 .

سرعان ما تصطدم بريب الزمان، وتبرز في هذه القصيدة النزعة الوجدانيّة والإنسانيّة للشّاعر بعيداً عن تيّار المجون الذي اشتُهر به، إذ يقول[1]:

أسعداني يا نخلتَيْ حلوانِ وابكيا من ريب هذا الزمانِ
واعلما أنّ ريبه لم يزل يفرق بين الألّاف والجيرانِ
ولعمري لو ذقتما ألم الفر قةِ أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أنّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقانِ
كم رمتني صروف هذي الليالي بفراقِ الأحباب والخلّانِ
فعليك السّلامُ منّي ما صا غ سلاماً عقلي وفاض لساني

"الأنا" المُنكسرة:

لعلّ الألم من أكثر المشاعر التي تشغل الإنسان، فيحاول جاهداً التخلّص منها، فيسعى للخوض في شتّى السّبل كي يتناساها، ويتخلّص منها، ولو بالحلم والخيال، و يمكن أن يكون البوح بها، والإشارة إليها من أبرز الوسائل التي اعتمدها الشعراء المجّان في تعبيرهم عن الطاقات النفسيّة المكبوتة لديهم، فها هو مطيع بن إياس يصوّر معاناته وآلامه التي تستمرّ معه بتقادم الزمن، إذ يقول[2]:

أمسيتُ جمّ بلابل الصّدرِ دهراً أزجّيهِ إلى دهرِ

ويمكن أن يكون فراق الأحبّة، والبعد عنهم أكثر إيلاماً لقلوب الشّعراء من أيّ شيء آخر، وهذا ما عبّر عنه أبو نواس عندما تمنّى الموت قبل رحيل محبوبته، وذلك بقوله[3]:

يا نفسُ كيفَ لطفتِ للصّبرِ حتّى صبرتِ
ألستِ صاحبتي يو مَ ودّعوني ألستِ
يا نفسُ ليتكِ منّي يومَ الفراقِ سقطتِ
ويلُ الفؤاد المُعنّى من الفراق المشتِّ

وهنا يبدو اكتواء أنا الشّاعر وانكسارها واستسلامها أمام الآخر(المعشوقة) الذي لا يشاركه مشاعر الحبّ، ويحوّل حياته إلى جحيم.

1 شعراء عبّاسيون، ص69 .
2 شعراء عباسيون، ص49 .
3 ديوان أبي نواس، ص 190 .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ فراق الأهل والأصدقاء كان شديد الألم، و له بالغ الأثر في نفوسهم، فكان الرّثاء من الأغراض الشّعريّة المعبّرة عن "الأنا" المتألّمة المنكسرة، حتى يكون الصّبر غير قادرٍ على تحمّل المصيبة، كقول مطيع بن إياس في فقدِ والده[1]:

أيا ويحهُ لا الصّبرُ يملكُ قلبهُ فيصبرَ لمّا قيل سار محمّدُ

فلا الحزنُ يفنيهِ ففي الموت راحةٌ فحتّى متى في جهدهِ يتجلّدُ

قد أضحى صريعاً بادياتٍ عظامُهُ سوى أنّ روحاً بينها تتردّدُ

كئيباً يمنّي نفسهُ بلقائهِ على نأيهِ والله بالحزن يشهدُ

وكنتَ يداً كانتْ بها الدّهرَ قوّتي فأصبحتُ مُضنى منذُ فارقني اليدُ

فالشّاعر يصوّر كآبته وحزنه الشّديد على فقد والده، وكيف فقد صبره وقوّته وتماسكه بعد فاجعته الكبيرة، وكم كان يمنّي نفسه بلقائه .

الأنا الماجنة المُستهترة :

لعلّ الثقافة العميقة التي تميّز بها معظم الشّعراء المجّان، إضافةً إلى اطّلاعهم الواسع على الثّقافات والفلسفات الوافدة كان لها بالغ الأثر في تفكّرهم في قضايا الوجود والمصير والموت، وفي إدراكهم عبثيّة الحياة، وفي قلقهم من الموت و الفناء، وخوفهم من المستقبل المجهول–ما بعد الموت– وهذا ما دفعهم إلى سلوك طريق اللّهو والمُجون والاستهتار، فكان مجونهم إثباتاً لذواتهم وتحدّياً لمجتمعهم، وعاداته وتقاليده، وإذا كان الشكّ من جهة ، والإحساس بوطأة الزمن وقسوة الحياة ، والإحساس بأنّ الموت والفناء قادمان لا محالة من جهة ثانية ، فهل من سبيلٍ لديهم لمواجهة مجمل هذه الأمور إلاّ بالإقبال على الحياة وملذّاتها ، أو الاتجاه إلى الجانب الآخر المتمثّل بالزهد و التنسّك بوصفه ردّ فعلٍ على هذا الواقع ؟

وهذا ما يظهر في قول أبي نواس الذي لم يُخفِ خوفه من الموت ، وإحساسه بوطأة الزمن وثقله عليه ، وكيف واجهه بالهروب من خوفه ويأسه بالإقبال على دروب اللذة وشرب الخمر، إذ يقول[2]:

رأيتُ الليالي مرصداتٍ لمدّتي فبادرتُ لذّاتي مبادرة الدهرِ

واللذّة عند الشعراء المجّان تقترن بالإصرار عليها و البوح والمجاهرة بها وعدم كتمانها كقول أبي نواس[3]:

لا تصحبنّ اللذّاتِ مكتتماً واغدُ إليها كخالعِ الرسنِ

ولا بدّ من الإشارة إلى تعرّض المجّان للمقدّس الديني كان إثباتاً لذواتهم وتأكيداً لمذهبهم ورؤيتهم في الحياة، هذا المقدّس الذي واجهوه بالتمرّد عليه، ورفض الانصياع لأوامره ونواهيه، واستخدام مصطلحاته وألفاظه بدلالاتٍ جديدةٍ غير معهودة أو متعارف عليها ، وبأسلوبٍ جديد يضفي القداسة على اللهو و المجون (فالمقدّس

[1] شعراء عباسيون، ص 42– 43 .

[2] ديوان أبي نواس ، ص139 .

[3] المصدر السابق ، ص134 .

الجديد هو، في آن، ما يناقض المقدّس الموروث، وما يلبّي حاجة الروح في اللحظة الحاضرة)[1]. ولعلّ الوليد بن يزيد–وهو من شعراء العصر الأمويّ– كان إمام الشّعراء المجّان وقدوتهم في تمرّدهم الدّينيّ، و في استخدامهم مصطلحات الدّين لأغراض اللّهو والمجون والعبث والتمرّد ، وذلك بقوله [2]:

قد جعلنا طوافنا بالدّنانِ حين طاف الورى بركنٍ يماني

سجد السّاجدون لله حقّاً وجعلنا سجودنا للقناني

أمّا والبة بن الحباب فيشير إلى تغيّر المفهومات ، والاستهتار بالقيم في عصره ، وذلك عندما يقول[3]:

إن كان يُجزى بالخير فاعله شرّاً ويُجزآ القبيح بالحسنِ

فويلٌ تالي القرآن في ظُلم ال ليلِ وطوبى لعابد الوثنِ

و يصرّح أبو الهندي بتمرّده ، ويُظهر تحرّره من الدين والأعراف ، وثورته عليها تظهر من شربه الخمر في شهر رمضان ، والمجاهرة بذلك من دون مراعاة لأعراف الناس وقيود الدين في ذلك الشهر، إذ يقول[4] :

شربتُ الخمرَ في رمضان حتّى رأيتُ البدر للشّعرى شريكا

فقال أخي : الّديوك مناديات فقلتُ له: وما يُدري الديوكا

وكثيراً ما دفعهم حبّهم إثباتَ ذواتهم إلى التمرّد الدّيني والإلحاد المشوب بشتى أنواع التعابث و التماجن ، وإلى الشكّ و الإنكار، كقول أبي نواس[5]:

وملحّةٍ باللومِ تحسب أنّني بالجهل أوثر صحبة الشطّارِ

فدعي الملامَ فقد أطعتُ غوايتي وصرفتُ معرفتي إلى الإنكارِ

ورأيتُ إتياني اللذاذة والهوى وتعجّلاً من طيب هذي الدارِ

أحرى وأحزم من تنظّر آجلٍ علمي بهِ رجمٌ من الأخبارِ

ما جاء من أحدٍ يخبّر أنّهُ في جنّةٍ من مات أو في النارِ

---

1 أدونيس ، علي أحمد سعيد، *مقدمة للشعر العربي*، بيروت ، دار العودة ،1983 . ص39 .

2 يُنظر: الوليد بن يزيد ، *ديوان الوليد بن يزيد* ، تحقيق: واضح عبد الصمد، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 1998 ، ص127 .

3 في فلك أبي نواس، ص29 .

4 الرفاء، السرّي بن أحمد ، *المُحب والمحبوب والمشموم والمشروب*، تحقيق: مصباح غلاونجي، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986 ،1 : 154.

5 المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران ، *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء* ، المطبعة السلفيّة، القاهرة ، 1343، ص278 .
وقوله الآخر الذي يرفض فيه المسلّمات ويتمرّد عليها :

ألم ترني أبحثُ اللّهو نفسي ودِيني واعتكفتُ على المعاصي

كأنّي لا أعود إلى معـــادٍ ولا أخشى هنالك من قصاصِ

ينظر ديوان أبي نواس، ص 622 .

ولم يكن ديك الجنّ الحمصي بعيداً عن نظرائه المجّان من جهة الاستهتار والتشكيك والإنكار، وذلك حين قال[1]:

أ أتركُ لذّة الصهباء عمداً لما وعدوه من لبنٍ وخمرِ
حيـــــاةٌ ثمّ موتٌ ثم بعثٌ حديث خرافـةٍ يا أمّ عمرو

والخمر في أشعار المجّان تبدو وكأنّها السبيل الأوحد و الأنجع لمواجهة الواقع والزمن في آنٍ معاً ؛ لأنه يضمن لهم استمراريّة الحياة خارج إطار الزمن وحدوده ، فلا موتَ يقلقهم ، ولا همومَ تنغّص عيشهم ، وفي هذا المعنى يصرّح مطيع بن إياس، ويؤكّد أنّ الخمر والسُّكْر والعبث والمجون هي أقصى همّه في الحياة ، فيمزج مجونه بالشكّ والإنكار، ويسعى لإثبات ذاته وحريّته ، ويلجأ إلى المعشوق الأوّل والأخير، إلى الخمر التي تمثّل الحريّة والفرح والتمرّد ، وهي وحدها التي تستحقّ أن يشغل المرء عقله وقلبه بها ، والأهمّ من هذا وذاك الهروب من الموت والفناء ؛ وذلك لأنّ حقيقة الموت تكشفُ لنا عبثيّة الحياة ، وهنا يصرّح مطيع بن إياس بمذهبه في الحياة الذي يقوم على التمرّد والخروج على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، ويمزج تمرّده الفنّي بالدينيّ بالاجتماعيّ، وتمتزج فيه "الأنا" الماجنة المستهترة بالأنا القلقة المضطربة الخائفة ، إذ يقول[2]:

اخلع عذارك في الهوى واشرب معتّقة الدنانِ
و صِلِ القبيح مجاهراً فالعيش في وصل القيانِ
لا يلهينّك غير ما تهوى فإنّ العمر فانِ

ولا بدّ من الإشارة إلى وجود "الأنا" المتحسّرة النادمة("أنا" التأسّي والاعتبار) في أشعار المجّان، إذ تحدّثوا عن الشّيب وبكاء الشّباب الذّاهب، وعبّروا عن مخاوفهم من الشّيب؛ لأنّه علامة دنوّ الأجل، فكشفوا ما تعانيه "الأنا" من اضطرابٍ في داخلها، ومن هواجس الخوف والرّهبة منه، ولأنّ البحث يتناول بالدّراسة "الأنا" في شعر المجون الذي يدعو إلى استثمار الشباب وتقديس اللحظة الحاضرة المعيشة، لذلك آثر عدم الخوض في دراسة "الأنا" المتحسّرة لأنها لا تدخل في باب المجون.

الخاتمة والتوصيات:

لقد تعدّدت تجليّات "الأنا" في شعر المجون في العصر العبّاسيّ الأوّل، فكانت تقليديّة مشابهة لِما سبقها، ولِما عاصرها في "الأنا" العاشقة، وفي بعض جوانب "الأنا" المتألّمة المنكسرة و أنا التفكّر و التأسّي والاعتبار، وبرز تجديد الشّعراء المجّان في أنا الفخر (الأنا المعتزّة) عندما فتحوا مجالاتٍ جديدة للفخر لم تكن مألوفة أو مطروقة سابقاً، وفي "الأنا" الماجنة المستهترة التي عكست موقفهم من الحياة والمجتمع والدّين والسّلطة، وظهرت "الأنا" بشكلٍ واضح متحدّيةً الأعراف والتقاليد والدّين والفنّ، ساعيةً لإثبات نفسها، وتحقيق ذاتها، فعبّرت في كثيرٍ من المواضع عن قلق الانتماء، وتصدّع الرّابطة مع الآخر/المجتمع، ثمّ الانتقال إلى

1 ديك الجنّ الحمصي، *ديوان ديك الجنّ الحمصي*، جمع عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش، مطابع الفجر الحديثة، حمص ،1960 ، ص170 .

2 شعراء عباسيون ، ص76 .

الخروج على الآخر والانفصال عنه، والسعي إلى الخلاص من الآخر، والانتماء إلى جماعة جديدة منسجمة مع أهوائهم ورغباتهم.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الشّعراء المجّان في العصر العبّاسي الأوّل قد شكّلوا ذاتاً جديدة مقابل المجتمع نفسه، أي أنا ونحن مقابل هم (الآخر) ، فكان المجون بذلك ظاهرةً اجتماعيّة وفنيّة وفكريّة وإنسانيّة متفرّدة بخصائص وسماتٍ تميّزها، أبرزها: الإنسانيّة والنزعة الوجدانيّة والحريّة والتمرّد...والتي تشكّل بمجملها الدعائم الأولى التي تؤمن بالإنسان وتعطيه قيمته العظيمة.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور: *لسان العرب* ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000 .

2- أبو نواس: *ديوان أبي نواس*، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكاتب العربي، بيروت ، لبنان.

3- أبو نواس: *ديوان أبي نواس*، دار صادر للطباعة والنشر، 1998.

4- أدونيس ، علي أحمد سعيد: *مقدمة للشعر العربي*، دار العودة ،1983 ، بيروت .

5- إسماعيل، عزّ الدين : *كلّ الطرق تؤدّي إلى الشعر*، الدار العربيّة للموسوعات، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.

6- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: *الأغاني*، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ .

7- الحداد، عباس يوسف : *الأنا في الشعر الصوفي*، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الثانية، 2009.

8- حسين، طه : *حديث الأربعاء*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 1925.

9- ديك الجنّ الحمصي: *ديوان ديك الجنّ الحمصي*، جمع عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش، مطابع الفجر الحديثة، حمص، 1960.

10- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي: الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1966.

11- صليبا، جميل : *المعجم الفلسفي*، دار الكاتب اللبناني، بيروت، 1978.

12- الرفاء، السرّي بن أحمد: *المُحب والمحبوب والمشموم والمشروب*، تحقيق: مصباح غلاونجي، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986 .

13- عباس، قاسم محمد ، *الحلّاج*: الأعمال الكاملة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

14- غرونباوم، غوستاف فون : *شعراء عبّاسيون*، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1959.

15- فرويد، سيجموند : *الأنا والهو*، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، 1984.

16- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران: *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء* ، المطبعة السلفيّة، القاهرة ، 1343.

17- معجم *علم النفس والتربية*، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، 1984 .

18- الوليد بن يزيد: *ديوان الوليد بن يزيد* ، تحقيق: واضح عبد الصمد، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 1998 .

19- وهبة، مجدي. والمهندس، كامل : معجم *المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب*، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984.

20- يارد، نازك سابا : *في فلك أبي نواس* ، نوفل للطباعة والنشر، بيروت، 1992 .